

## أثر من تاريخ العرب

في الاندلس

تنبى عن هدي الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وجمعه بين الدين والدينا، ومكانة علماء الدين في عهده، وقبوله منهم الأغلاظ في وعظه، - وعن سيرة قضاة العدل وعلماء الآخرة، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يخافون في الحق صولة حاكم، على ورع يزينه ظرف واطف، ودعابة لامهانة فيها ولا سخف، يتمثل ذلك كله في ترجمة الوزير الفتح بن خاقان للقاضي البلوطي في كتابه مطمح الأنس، ومسرح التأنس، في ملح أهل الاندلس. قال عفا الله عما تكلف من إبداع، وما صنعه من اسجاع:

( الفقيه القاضي أبو الحسن منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله تعالى )

اية حركة في سكون، وبركة لم تكن معدة ولا تكون، اية سفاهة في تعلم، وجهامة ورع في طي تبسم، اذا جد تجرد، واذا هزل نزل، وفي كلنا الحالتين لم ينزل للورع عن مرقب، ولا اكنسب إثمًا ولا احتتب؛ ولي قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن، وناهيك من عدل أظهر، ومن فضل اشتهر، ومن جور قبض، ومن حق رفع، ومن باطل خفض؛ وكان مهيبا طيبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم. واستمر في القضاء الى ان مات الناصر لدين الله، ثم ولي ابنه الحكم فأقره وفي خلافته توفي، بعد ان استعفى مرارا فما أعفني، فلم يحفظ عليه مدة ولايته قضية جور، ولا عدت عليه في حكومته زلة. وكان غزير العلم كثير الادب، متكلم بالحق، متبينا بالصدق، له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع، والرد على أهل الاهواء والبدع؛ وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا. ولد سنة ثلاث وعشرين (وماثنتين) عند ولاية المذربن محمد. وتوفي يوم الخميس (المنار: ج ٧) (٦٨) (المجلد الثامن عشر)

الليتين بقينا من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

﴿ ومن شعره في الزهد ﴾

كم تصابي وقد علاك المشيب	وتعاصي عمدا وانت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير	ان يوم الحمام منك قريب
يا سفيها قد حان منه رحيل	بمد ذلك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارقهها	لا يداويك ان أتتك طيب
كم تراني (١) حتى تصير رهينا	ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم	فاعلمن جاهدا لها يارتب
وتذكر يوما يحاسب فيه	ان من يدك كرفسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر الا	المنايا عليك فيها رقيب

#### الخطابة في الاحتفالات الرسمية

وذكر ان أول سببه في التعلق في الناصر لدين الله ، ومعرفته به وزلفاه ، ان الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم وصاحب القسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره ، وانهر أمره ، أحب أن تقوم الخطباء والشعراء بين يديه تذكر جلالة مقعده ، ووصف ماتهما له من توطد الخلافة ورعي الملوك بأماله ، وتقدم الى الامير الحكم ابنه باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ، ويقدمه امام نشيد الشعراء ، (٢) فتقدم الحكم الى أبي علي البغدادي (٣) ضيف الخلافة وأمير الكلام ، وبحر اللغة ان يقام ، فقام رحمه الله وأثنى على الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اتقطع ، وبهت فواصل الاقطع ، ووقف ساكتا متفكرا ، ونشوف لانسيا ولا متذكرا

(١) كذا وربما كان الاصل « كم تواني » (٢) يعلم من هذا أن عادتهم في الاحتفالات كمادة أهل هذا الزمان في الخطابة . وكان منظم هذا الاحتفال الحكم ولي عهد الخليفة (٣) فيه أن وحدة الأمة ما كانت تمنع في ذلك الزمن تقديم الغريب عن البلاد على أمثاله من أهلها اذا كان أهلا وان كان تابعاً للحكومة أخرى ، ولا يكون مثل هذا في مصر الآن ، لان التعصب للبلاد أضعف وحدة الأمة

## ارتجال العلماء الخطابة حتى في السياسة

فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام بداته ، بدرجة من مراقته ، فوصل افتتاح أبي علي البغدادي بكلام عجيب ، وناذى من الاحسان في ذلك المقام كل مجيب ، وقال : اما بعد فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال ، وليس يعد الحق الا الضلال ، واني قد قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فاصفوا لي بأسماعكم ، وامنوا علي بأفئدتكم ، معاشر الملأ ! ان من الحق ان يقال للمحق صدقت . وللمبطل كذبت ، وان الجليل تعالى في اسمائه وتصديق بصفاته <sup>(١)</sup> أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين ان يذكر قومه بنعم الله عز وجل عندهم ، وأنا أذكركم نعم الله تعالى عليكم ، وتلافيه لكم ، بخلافة أمير المؤمنين التي امنت سر بكم ، ورفعت خوفكم ، وكنتم قليلا فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ، ومستذلين فنصركم ، ولاء الله رعايتكم ، وأسند اليه امامتكم ، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق ، واحاطت بكم تشعل النفاق ، حتى صرتم في مثل حدقة البعير ، مع ضيق الحال ونكد العيش والتغيير ، فاستبداتم بخلافته من الشدة بالرخاء ، وانتقلتم بين سياسته الى كنف العافية بعد استيطان البلاء ، ناشدتم يامعشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسبل مخوفة فأمنها ، والاموال متهبة فأحرزها وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خرابا فعمرها ، وثغور المسلمين مهتزمة فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع كلمتكم بعد اقتراقها بامامته ، حتى اذهب عنكم غيظكم ، وشفى صدوركم ، وصرتم يداعلى عدوكم ، بطوية خالصة ، وبصيرة ثابتة وافرة ، فقد فتح الله عليكم أبواب البركات ، وتواترت عليكم أسباب الفتوحات ، وصارت وفود الروم وافدة عليكم ، وآمال الاقصيين والادنين اليكم ، يأتون من كل فج عميق ، و بلد سحيق ، ولا أحد يحيل بينه وبينكم ليقضي الله أمرا كان مفعولا . وان يخلف الله وعده ، ولهذا الامر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة تدل على أمور باطنة ، دليلها قائم ، وغيبها عالم ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ،

(١) لعل الاصل وتقدس بصفاته

وليبدانهم من بعد خوفهم امانا) وليس في تصديق ما وعد الله عز وجل ارياب ،  
ولكل نبأ مستقر ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، وسلوه  
المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله تعالى بالعصمة  
والسداد ، وألهمه بخالص التوفيق سبيل الرشاد ، فاستمعينوا على صلاح أحوالكم ،  
بالمناصحة لامامكم ، والتزام الطاعة لخلافتكم ، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن  
من نزع يده من طاعة ، وسعى في فرقة الجماعة ، وفر من الديانة ، فقد خسر الدنيا  
والآخرة ، الا ذلك هو الخسران المبين . وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه  
من ضروب الشركين ، وصنوف الملحدين ، الساعين في شق عصاكم ، وتفريق  
ملتكم ، وهتك حرمتكم ، وتوهين دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين  
 والمرسلين ؛ أقول قولي هذا والحمد لله رب العالمين . وأنشد يقول

مقال كحد السيف وسط المحافل	فرقت به ما بين حق وباطل
بقلب ذكي ترتمي جنباته	كبارق رعد عند نقش الاناصل
فما دحضت رجلي ولا زل مقولي	ولا طار عقلي يوم تلك البابل
بخير امام كان أو هو كائن	لمقتبل أو في العصور الاوائل
وقد حدثت نحوي عيون إخالها	كمثل سهام اثبتت في المقاتل
ترى الناس أفواجا يؤمون داره	وكلمهم ما بين راض وآمل
وفود ملك الروم وسط فنائه	مخافة بأس أو رجاء لسائل
فعش سالما اقصى حياة معمر	فأنت غياث كل حاف وناعل

فقال العالج: هذا والله كفش الدولة. وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه،

وثبات جناحه ، وبلاغة لسانه

خطبة ارجالية قربت عالما من الخليفة

وكان الخليفة الناصر لدين الله أشد تعجبا منه واقبل على ابنه الحكيم ولم يكن  
يثبت معرفة عينه ، وقد سمع باسمه ، فقال الحكيم : هذا منذر بن سعيد البلوطي ؛  
فقال والله لقد أحسن ما أنشأه (١) وأثن ابقاني الله تعالى لأرفعن من ذكره ، فضع

(١) لعل الاصل : أحسن ما شاء

يدك يا حاكم واستخلصه وذكرني بشأنه، فالصنعة مذهب عنه، فلما انتهى الناصر الى الجامع بالزهراء، ولاه الصلاة فيها والخطبة. ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضاء الجماعة بترطبة وأقره على الصلاة بالزهراء

### جهر القاضي بانكار اسراف الخليفة

وكان الخليفة الناصر كلفا بمارة الارض، واقامة معاملها، وتكثير مياهها، واستجلابها من ابعدها، وتخليد الاثار الدالة على قوة ملكه، وعزة سلطانه وعلو همته، فافضى به الاغراق في ذلك الى ابتناء مدينة الزهراء الشائع ذكره، الذائع خبره، المنتشر في الارض أثره، واستفرغ وسعه في تنجيدها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها؛ فانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذته، فاراد القاضي منذر بن سعيد رحمه الله وجه الله في أن يعظه ويقرعه في التأنيب، ويقص منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطابة، والتذكير بالانابة

فابتدأ أول خطبته بقوله تعالى ( أتبنون بكل ريع آية تعبثون \* وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون \* وإذا بطشتم بطشتم جبارين \* فاتقوا الله وأطيعون \* واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون \* أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعميون \* أي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ) ووصل ذلك بكلام جزل، وقول فصل، جاش به صدره، وقذف به على لسانه بحره، وأفضى في ذلك الى ذم المشيد والاستغراق في زخرفته، والسرف في الانفاق عليه، فجرى في ذلك طلقا، وتلا في ذلك قوله تعالى ( أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين \* لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ) واتى بما شا كل المعنى من التخويف للموت والتحذير منه، والدعاء الى الله عز وجل في الزهد في هذه الدنيا الفانية والحض على اعتزالها، والتبيين لظاهر معانيها، والترغيب في الآخرة وبقاها، والتقصير عن طلب الدنيا، ونهي النفس عن اتباع الشهوات، وتلا من القرآن العظيم ما يوافق، وجلب من الحديث والاثم ما يشاكله ويطابقه، حتى بكى الناس وخشعوا، وضجوا وتضرعوا، وأعلنوا الدعاء الى الله تعالى

فعلم الخليفة أنه المقصود به، والمتعمد بسببه، فاستجدي وبكى، وندم على ما سلف منه من فرطه، واستعاذ بالله من سيخطه، واستعصمه برحمته؛ إلا أنه وجد على منذر بن سعيد للفظه الذي قرعه به، فشكا ذلك إلى والده الحكم بعد انصرافه، وقال: والله لقد تعلمني منذر بخطبه، وأسرف في ترويعي، وأفرط في ترويعي، ولم يحسن السياسة في وعظي وصيأتي عن توبيخه، ثم استشاط، وأقسم أن لا يصلي خلفه الجمعة أبداً، فقال له الحكم: وما الذي يمنعك عن عزل منذر بن سعيد والاستبدال به؟ فزجره وانتهره،

وقال: أمثل منذر بن سعيد في فضله وورعه وعلمه وحلمه لا أم لك يزل في ارضاء نفس ناكبة عن الرشده، سالكة غير القصد؟ هذا ما لا يكون، واني لاستحجي من الله تعالى أن لا أجعل بيني وبينه شفيما في صلاة الجمعة مثل منذر بن سعيد، ولكنه وقد نفسي وكاد يذهبها والله لوددت أن أجد سيلاً إلى كفارة يميني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا فما أظننا نعتاض منه أبداً.

وعذله قوم من اخوانه لتكنيته ارجل كان يسبه فقال:

لا تعجبوا من أنني كنيته من بعد ما قد سبنا وهجانا  
فإنه قد كنى أبا لهب وما كناه إلا خزية وهو انا

﴿ومن قوله في الزهد﴾

ثلاث وستون قد حزمتها فإذا تؤمل أو تنتظر  
وحل عليك نذير المشيب فما ترعوى بل وما تزدجر  
تمر لياليك مرًا حينًا وأنت على ما أرى مستمر  
فلو كنت تعقل ما ينقضي من العمر ما اعتضت خيرا بشر  
فإياك لا تستعد إذا لدار المقام ودار المقر  
أترغب في فجأة المنون (؟) وتعلم ان ليس منها وزر  
فأما إلى جنة أزلت وأما إلى سقر يستمر

استسقاء القاضي بالناس مع الخليفة

وقحط الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر لدين الله أمير المؤمنين فأمر

القاضي منذر بن سعيد بالبروز الى الاستسقاء، فتأهب لذلك وصام بين يديه ثلاثة أيام تفلاً واناة واستجداء ورهبة، واجتمع الناس له في مصلى بقرطبة بارزين الى الله تعالى في جمع عظيم، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانع القصر المشرفة ليشرك الناس في الدعاء الى الله تعالى والضراعة - فلما سرح طرفه في ملائ الناس وقد شخصوا اليه بأبصارهم قال :

يا أيها الناس - وكرها مشيراً بيده في نواحيهم - ثم قال (سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) - أتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد \* ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد \* وما ذلك على الله بعزيز) فضج الناس بالدعاء وارتفعت الاصوات بالاستغفار والتضرع الى الله تعالى بالسؤال والرغبة في ارسال الغيث، ووصل الحال<sup>(١)</sup> ومضى على تمام خطبته، فافزع النفوس بوعظه، وانبعث الاخلاص بتذكيره، فبا أتم خطبته حتى بلأهم الغيث

وذكروا ان الخليفة الناصر الدين الله جاء غداة ذلك اليوم، فخره للخروج وذكروه عزمه عليه، والسابقون مقدّمون الى المصلى، فقال للرسول - وكان من خواص حلفاء الصفاء اليه: يا ليت شعري! ما الذي يصنعه الخليفة سيدنا؟ فقال له مارأينا قط أخشع منه في يومنا هذا، انه لمتبذ هائر منفرد بنفسه لابس أخشن الثياب، مقترش التراب، قد رمى به على رأسه وعلى لحيته، وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول: هذه ناصيتي بيدك، أتراك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء مني؟<sup>(٢)</sup> قال فتהל وجه القاضي منذر بن سعيد عند ماسمع من قوله، وقال يا غلام! احمل المطر<sup>(٣)</sup> معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا، اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء، وكان كما قال فلم ننصرف الا عن السقيا

(١) لعل الاصل: ووصل الكلام (٢) إنما لم يقل وانت أرحم الراحمين مع كونه المناسب لتقام الاستسقاء، لأن مراده ان تعذب الرعية بذنبي اذا حاكمهم، وانت الحاكم علي وعليهم، لو شئت ان تعاقبني على ذنوبي فيهم انعمت، واذا عاملتني بالرحمة والفضل فالرعية أولى بذلك. هذا مراده قطعاً  
(٣) المطر الثوب الذي يتقى به المطر

\*

### استقلال القضاء وإيثار القاضي مصلحة اليتيم على رغبة الخليفة

قال وكان القاضي منذر بن سعيد من ذوي الصلابة في أحكامه والمهابة في أقضيته، وقوة القلب في القيام بالحق في جميع ما يجري على يديه، لا يهاب في ذلك الأمير الأعظم فمن دونه. ومن مشهور ماجرى له في ذلك قصته المشهورة في إيتام أخي نجدة، حدثني بها جماعة من أهل العلم والرواية. وهي أن الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد احتاج إلى شراء دار بقرطبة لخفية من نسائه تكرم عليه، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخي نجدة كانت بقرب النشارين في الربض الشرقي منفصلة عن دور يتصل بها حمام العامة له غلة واسعة، وكان أولاد زكريا أيتاما في حجر القاضي، فأرسل الخليفة له من قيمتها بمقدار ما طابت به نفسه، وأرسل ناسا وأمرهم بمدخلة وصي الأيتام في بيعها عليهم، فذكر أنه لا يجوز إلا بامر القاضي، إذ لم يجز بيع الأصل إلا عن رأيه ومشورته، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار، فقال لرسوله البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجه - منها الحاجة، ومنها الوهي الشديد<sup>(١)</sup> ومنها الغبطة<sup>(٢)</sup> فاما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الأيتام إلى البيع، واما الوهي فلايس فيها، واما الغبطة فهذا مكانها، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما يستبين به الغبطة، أمرت وصيهم بالبيع والأفلا. فنقل جوابه هذا إلى الخليفة فظهر الزهد في شراء الدار طمعا أن تراخي رغبته فيها، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأولاد سورتها، فأمر وصي الأيتام بنقض الدار وبيع أبقاضها ففعل ذلك، وباع الأبقاض وكانت لها قيمة بأكثر مما قومت به للسلطان، فأنصل الخبر به فمز عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها، فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك، فأرسل عند ذلك للقاضي وقال له: أنت أمرت بنقض دار أخي نجدة؟ فقال له نعم، قال له وما دعائك إلى ذلك؟ قال أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم

(١) الضعف كأن تكون الدار متداعية (٢) الغبطة تحقق بما فيه مصلحة

الأيتام وهو الزيادة على من المثل

ملك يأخذ كل سفينة غصبا) فمقومك لم يقدرها الا بكذا وبذلك تملق وعمك  
 فقد نص في اتقاضها أكثر من ذلك<sup>(١)</sup> وبقيت الدار والحمام فضلا. ونظر الله  
 تعالى للايتام. فصبر الخليفة على ما أتى من ذلك، وقال نحن أول من اتقاد الى الحق  
 فجزاك الله تعالى عنا وعن امانتك خيرا  
الوقار والديانة، مع الظرف والدعابة

قال وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة فرجسا ساء ظن من  
 لا يعرفه حتى اذا رام أن يصيب من دينه شعرة ثار عليه ثورة الاسد الضاري  
 فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم  
 مع أينا للافطار بداره البرانية فاذا بسائل يقول يا أهل هذه الدار الصالحين أطعمونا  
 من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة، وأكثر من ذلك. فقال  
 القاضي ان استجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد  
 وحكى عنه قاسم بن أحمد الجبني انه ركب يوما لحيازة أرض محبسة في ركب  
 من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو ابراهيم اللؤلؤي، قال فسرنا تقفوه وهو  
 أمامنا وأمامه امامه يحملون خرائطه<sup>(٢)</sup> وعلى ذويه السكنية والوقار، وكانت القضاة  
 حينئذ لا تراكب ولا تمشي<sup>(٣)</sup> فعرض له في بعض الطريق كلاب مستوحجة وهي تلمق  
 منها وتدور حوله، فوقف وصرف وجهه الينا وقال: ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب  
 بالهن الذي تلمقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك!! ثم لوى هنان دابته وقد أضحكنا  
 وبقينا متعجبين من هزله  
 وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلوة له في بستان الزهراء على بركة

(١) يريد ان الذي قوم الدار للخليفة حبابه وهو يتوهم أنه قومها بما تساوي مع  
 أن عن اتقاضها وحده قد زاد على ذلك، وهو يريد أكثر مما تساوي لمصلحة الايتام  
 (٢) لعل أصله: وأمامه خدمه أطخ والخرائط أوعية من الجلد أو غيره لها عرى

تشد وتربط على ما يوضع فيه من المتاع واحدها خريطة

(٣) أي كانوا يتقدمون الناس فلا يركب ولا يمشي معهم أحد مساويا لهم

ماء طافحة ، وسط روضة نافحة ، في يوم شديد الوهج ، وذلك إثر منصرفه من صلاة الجمعة فشكا الى الخليفة من وهج الحر الجهد ، وبث منه ما تجاوز الحد ، فأمره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه ، ففعل ولم يطفى ذلك مابه ، فقال له : الصواب ان تنفخ في وسط الصهريج انفاصة يبرد بها جسمك ، ولم يكن مع الخليفة الا الحاجب جعفر الخادم الصقابي أمينه والحكم لارابع لهم ، فكانه استحيا من ذلك ، واتقبض عنه وقارا ، واقصر عنه إقصارا ، فأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه بالنزول في الصهريج ليسهل الأمر فيه على القاضي ، فبادر جعفر لذلك وأتى بنفسه في الصهريج وكان يحسن السباحة ، فجعل يجول يمينا وشمالا ، فلم يسمع القاضي الا انفاذ أمر الخليفة ، فقام وأتى بنفسه خلف جعفر ، ولاذ بالعمود في درج الصهريج ، وتدرج فيه بعض تدريج ، ولم ينبسط في السباحة ، وجعفر يمر مصعبا ومصوبا ، قدسه الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العموم — فهو يعجزه في إخلاده الى القعود ، ويماتبه بإلقاء الماء عليه ، والاشارة بالجذب اليه ، وهو لا ينبعث معه ، ولا يفارق موضعه ، الى ان كلمه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب في فعله وتقفر معه ، وتثقل صنعه ، فمن أجلك نزل ، وبسببك تبذل ؟ فقال له ياسيدي يا أمير المؤمنين الحاجب سلمه الله لا هوجل<sup>(١)</sup> معه وانا بهذا الهوجل الذي معي يعقتني ويمعني من أن أجول معه بجاله . فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تمر يرضه لجعفر ، وخبجل جعفر من قوله وسبه سب الاشراف . وخرجا من الماء وأمر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشا كل كل واحد منهما

وذكر ان الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني انك لا تجتهد للايتام وانك تقدم لهم أوصياء سوء يا كلون أموالهم . قال نعم وان أمكنهم . . . أمهاتهم لم يعفوا عنهم ؟

(١) الهوجل الأبحر الثقيل الذي ترسي به السفينة ، وفي العبارة من حسن الاستعارة ونزاهة التمر يرض ما ترمى ، هذا وقد خجل منه الحاجب وغضب حتى انه لم يملك لسانه أن سب القاضي والاشراف على مسمع من الخليفة ! وناهيك بهذا برهانا على نزاهة حاشية الخليفة وبدم عن المجون والخلاعة ، وعلى دقة ذلك الاعجمي الاصل في فهم اللغة العربية .

قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست أجد غيرهم ولكن احني على اللؤلؤي وأبي  
ابراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا جبرتهم بالسوط والسجن ثم لاتسمع الا خيرا  
إنكار القاضي على الخليفة وأنصاف الناصر وقوة دينه

ومن اخبار مندر بن سعيد المحفوظة مع الخليفة عبد الرحمن في انكاره عليه  
الاسراف في البناء - ان عبد الرحمن كان قد اتخذ الى السطح العتبة الصغرى التي  
كانت مائلة الى الصرح الممرد المعروف بقصر الزهراء المشهور بان له قرامد ذهب  
وفضة أنفق عيها مالا جسيما وجعل سقفا صفراء فاقعة ، الى بيضاء ناصعة ، تسلب  
الابصار بطارح أنوارها المشعشة ، وجعل فيها اثر اتمامها لاهل مملكته مشهدا فقال  
لقرايته ومن حضره من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع  
ما يتصل به من البدائع الفتانة : هل رأيتم قبلي أو سمعتم من فعل مثل فعلي هذا أو  
قدر عليه ؟ فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين ، انك لأ وحد في شأنك كله ، ولا سبقتك  
في مبتدعاتك هذه ملك رأينا ولا انتهى اليها خبره ، فابهمجه قولهم

وبينا هو كذلك سار ضاحك اذ دخل عليه القاضي مندر بن سعيد واجما ناكسا  
ذقنه ، فلما أخذ محله قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف واقتداره على ابداعه ،  
فجرت دموع القاضي تنحدر على لحيتيه ، وقال والله يا أمير المؤمنين ما ظننت  
ان الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكن ،  
مع ما آتاك الله وفضلك على العالمين ، حتى أنزل الكافرين ١١ قال فاقشعر  
عبد الرحمن من قوله ، وقال انظر ما تقول ! كيف أنزلي منازلهم ؟ قال نعم أليس  
الله تبارك وتعالى يقول ( ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجلنا لمن يكفر بالرحمن  
ليوتهم سقنا من فضة ومعارض عليها يظفرون \* وليوتهم أبوابا وسررا عليها  
يتكئون ) قال فوجم الخليفة ونكس رأسه مليا ودموعه تجري على لحيته خشوعا لله  
تبارك وتعالى ، وندهما اليه ، ثم أقبل على مندر وقال له : جزاك الله تعالى يا قاضي  
خيرا عنا وعن المسلمين والدين ، وكثر في الناس أمثالك ، فالذي قلت هو والله  
الحق . وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى ، وأمر بنفض سقفة القبة وأعاد  
قرامدها ترابا اه